جنّة قلب

د/ وليد البكر

Dr. WALEED ALBAKER

جنّة قلبي

وليد البكر

Waleedalbaker
DrWaleedalbaker

سرعة الطباعة الرقمية

وليـد البكر

ⓒ وليد ابراهيم علي البكر، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جنة قلبي. / وليد ابراهيم علي البكر - الخبر، ١٤٣٩ هـ

ص ٧٤ ؛ ١٤,٨ سم × ٢١ سم

ردمك: ٧ - ٧٥٩٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- المقالات العربية - السعودية أ. العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٣٩/٩٩٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٩٩٤٠

ردمك: ٧ - ٧٥٩٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

https://booksys.moci.gov.sa/qr?no=060720180011052

060720180011052

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٨ ©

أُهدي هذا الكتاب إلى:

والِدَيّ، وعائلتي، وأساتذتي، وزملائي، وطلابي، ومرضاي، ومَن أحببتهم في اللّه

وأحبوني فيه، ومَن ألهموني بجمال وجودهم، وكرم عطائهم، وبركة دعائهم.

نوافذ مُطلَّة على البحر

افتحوا النوافذ المُطلَّة على البحر، واستنشقوا نسيمه الجميل، وعانقوا خيوط الشمس الذهبية واملؤوا عيونكم بضيِّها وفرحها، واسمعوا أصوات الطيور، وتغنُّوا معها، ودعوا هذه الإيجابية تغذي عقولكم، وتُثري أرواحكم، وتُنعش نفوسكم، وتذكَّروا أن هناك مَن يحاول أن يقفل النوافذ ويبني الجدران؛ حتى لا ترى البحر الجميل، ويمنع عنك النور والهواء والنسيم.

احذروهم، وامنعوهم، ودافعوا عن أحلامكم وسعادتكم وأفراحكم، ولا تسمحوا لأي أحدٍ بأن يخنقها أمامكم، وتمسَّكوا بأحبابكم الذين يفرحون لفرحكم، ويتألمون لأحزانكم، ويفتحون على قلوبكم نافذة تُشرق منها الشمس، فإن أتعبها الحر أصبحت أيديها ظلاً يحجب حرَّها وأنفاسها باردة عليكم، وإن لم يوجدوا في هذه الحياة الدنيا فاللَّه خير قريب ومُعِين، والباقيات الصالحات خير عند ربك.

القلوب الوفية في جنة قلبي

هنـاك الكثيـر ممن يكرهك، وهنـاك القليل ممن يحبك، وهناك أنـاس يضحكون لك ويطعنون فيك سرًا، وأناس يدعون لك في جوف الليل..

هناك مَن يفرح لفرحك ويحزن لحزنك، وهناك مَن يتمنى سقوطك وتعثرك، وهناك مَن تعمل لهم كل الخير ولا تلقى منهم إلا الشـر، وهناك قليل مَن يبادلك الإحسان، وهناك مَـن يحترمك لوقـتٍ معيّن وتنتهي مع انتهاء المصالح، وهناك مَن ينسـى ويقسـو ولا يتذكر، وهناك قليل مِمَنْ يَحْمِلُ الإخلاصَ والوفاءَ والجميلَ حتى يموتَ..

هنـاك قليل جميـل وكثير غث، وهناك مَنْ يتسـاقطُ كأوراقِ الخريـفِ مع كلِ موقفٍ عصيـبٍ.. هناك طريق الأحباب، وهناك طريق الأشـرار، فاسـلك طريق السـلام تعِش في سـلام وطمأنينة، وتمسَّـكْ بالوفي المخلصِ، وضعه بيـن كفيك، وداخل قلبك ثق بـه، وحافظ عليه ما حييت، فهو نادرٌ في حياتنا، واهرب من أولئك الأشـرار والحاقدين، واتركهم ودعهم للَّه يتولاهم؛ ليحترقوا بنيرانهم.

واعلم أن اللَّه هو مَن بيده كل شيء، وكل مَن حولنا بشر ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.

السقوط إلى الأمام

لم تكن لغتي الإنجليزية مميّزة، ولم تكن جامعاتنا في الماضي تهتم لذلك، ولا حتى في مهارات التقديم أمام مجموعة من الناس، وسبَّب ذلك لي المتاعب في بدايات ابتعاثي، وأثَّر على تقييمي، وعرفتُ نقطة ضعفي، فبدأتُ بتقديم محاضرات تطوعية وحلقات نقاشية مع زملائي العرب والكنديين، وجلستُ أدوِّنُ ملاحظاتي وأخطائي، وأسجّل صوتي وأسمعه من جديد، وعملتُ على ذلك بشكل أسبوعي مكثف، وكنت أرصد التطور الواضح، ثم قدَّمتُ بحثًا شفويًا عن زراعة البنكرياس من جامعة (البرتا) في مؤتمر الغدد الصماء الدولي بمدينة (سان فرانسيسكو)، وكان الحضور يتجاوز ٤٠٠ شخصٍ، وحصلنا فيها على الجائزة الثانية في المؤتمر، بعد منافسة ١٠ أبحاث شفوية كبيرة مختارة من قِبَل اللجنة المنظمة على مستوى المؤتمر الدولي، وقد وصف أساتذتي بحثي بأنه استثنائي الإبداع والتمكن.

وكان الدرس المهم أن أفضل طريقةٍ لحل مشاكلنا هي مواجهتها، وليس الهروب منها، وأن الإنسان ناقص غير كامل، وعليه أن يسعى في بناء قوته وتصحيح عيوبه، فليكن سقوطكم إلى الأمام.

نملة سليمان

قال تعالى: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُون فتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل ١٨، ١٩).

لننظر إلى تلك النملة الصغيرة التي جاء ذِكرها في القرآن الكريم، والتي استشعرت بمسؤوليتها تُجاه رعيتها، فتنبَّهت ونبَّهت، فبادرت بالتحذير؛ لتحمي باقي الرعية، ورغم صِغَر تلك النملة، فقد استقرأت المستقبل، واستشعرت بالخطر قبل حصوله برؤية واضحة، وعين ثابتة، ومع كل ذلك الخوف، وتلك الرهبة جعلتهم يحتاطون، وفي نفس الوقت التمست العُذر لسيدنا سليمان (عليه السلام) وجنوده، وأعطت درسًا لمَن امتهنوا سوء الظن في هذه الحياة.

ومع نهاية الآية الكريمة تتجلى روعة التواضع في ابتسامة نبيّنا سليمان (عليه السلام) مستشعرًا بذلك الموقف نِعَم اللَّه، وملطفًا لهول مصابهم، ومحترمًا بكل تواضع

لمقامهـم، رغم صِغَـر تكوينهم وخلقهـم في ملكـوت اللَّه، فما أروع قصـص القران الكريم، فمن قصةٍ قصيرةٍ خرجت فوائد عديدة في تهذيب النفس البشرية!.

النجاح يُولَد من رحم الأحزان

عندما يقرأ الإنسان سورة الضحى يستحضر فيها الرحمة الربانية، والقدرة الإلهية التي تجلَّت في هذه السورة، فمهما ضاقت الدنيا بما رحُبَت فستُفرَج - إن شاء اللَّه - فلا تيأس من رحمة اللَّه، فرغم أن نبينا الكريم هو أشرف الخلق على الإطلاق، إلا أنه لم يصل إلى الانتصار بهذا الدين، والفتح المبين الذي ذكره اللَّه «سبحانه وتعالى» في سورة النصر إلا بعد عناء كبير وجهد عظيم، فقد كان يتيمًا فآواه اللَّه، وعَائِلا فأغناه من فضله، ووجده ضالاً فهداه، واللَّه وحده أعانه على النصر، فالنجاح يولد من رحم الصبر والاحتساب.

ألم يكن رسول اللَّه راعيًا للغنم لا يملك شيئًا، وأصبح أعظم شخصيةٍ في تاريخ البشرية فكرًا ونورًا وعلمًا وهدايةً وتأثيرًا، كما أن اللَّه ذكر في كتابه آياتٍ تمتدح الصابرين وتبشّرهم، وليس هذا فحسب، بل كانت الآية الربانية العظيمة في قوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم» (سوره البقرة) تقوّي العزيمة والصبر والاحتساب.

وقد قالوا قديمًا: «لن تنال المجد حتى تلعق الصبرا»، فطريق المجد ليس طريقًا ممهّدًا

أو طبقًا من ذهب، ولكنه جهاد ومعاناة وعمل وكفاح وصبر، والأهم من ذلك نية طيبة سليمة خالية من الشرور؛ ليتحقق التوفيق والنجاح.

ومَنْ يدري، فقد يكون نجاحك بسـبب دعوة رفعت بها أكفك للَّه، أو بعد سـجدة في جـوف الليل تطلبـه حثيثًا، أو دعـاء الوالدين، أو دعوة مسـكينٍ أكرمتـه، أو ليلةٍ قدر أدركتهـا، أو أبناء وزوجة أحسـنت تربيتهـم ورعايتهم، فقط لا تجعل لسـانك يفتر عن الدعاء والاستغفار، وتوكل على اللَّه الواحد القهار، فهو حسبك، واحفظه يحفظك، وهو خير الحافظين.

كيف نراها ؟

هناك مَن ينظر للدائرة من زوايا مختلفة، فمنهم مَن تذكّره الدائرة باللف والدوران دون هدف، وهناك مَن يتخيّلها نقطة هدف واضحة، وهناك مَن يتخيّل مركزها نقطة بعيدة عن أطرافها لا تلتقي أبدًا، وهناك مَن يرى النقاط تتبع بعضها بعضًا بحب إلى ما لا نهاية. وهناك مَن يتخيلها إذا اجتمعت وتقاطعت قطعًا من الذهب والفضة النفيسة، وهناك مَنْ يرى الدائرة انغلاق العقل، وهناك مَن يراها احتواء القلب، هكذا نظرتنا تختلف من شخص إلى آخر، رغم أن الصورة واحدة إلا أن عيوننا ترصدها بطرقٍ مختلفة حسب تفسيراتنا، وما يجول في خواطرنا.

نعم هكذا نحن البشر، فهناك مَن ينظر للأشياء بإيجابية، وهناك مَن ينظر اليها بسلبية.

لم أكن غريبًا في بلاد الغربة!

خـلال فترة ابتعاثي لدولة (كندا) قبل عشـر سـنوات، لاحظتُ، من خلال تعايشـي مع الكنديين، العديد من الميزات الجميلة، فهو شـعب لا يخجل من امتداح مَن يسـتحق، بل يُثني عليه، ويشـدّ على أيدي المميزين والناجحين إيمانًا منهم بأن هذا العالم يتسـع للعديد من الناجحين، وليس حِكرًا على أحد، دون الشـعور بالحسـد الاجتماعي، والكل فيه يركز على إنجازاته وخصوصياته، دون أن يتدخل في خصوصيات الآخرين.

ليس هذا فحسـب، بل من أجمل ما يميّز شـعب هذه الدولة أنه لا يحب في معظمه الكذب؛ لأنهم غير مضطرين لذلك، وتكاد تكون الغيبة والنميمة شـبه معدومة، في المقابل تجـد مجتمعاتنا أنها متعبة جـدًا، تحارب الناجحين، وتدعم الفاشـلين، وتهتم بالقشـور، وتركّـز على انتقاد الأشـخاص، وتنسـى الفكـرة والمفهـوم، وتغلب عليها السـلبية وانهزامية التفكير، وفتور العزيمة، وسـوء الظن، وتحجّـم الأعمال الكريمة، وتفخّم وتعظّم الأخطاء الصغيرة.

شـعوبنا تميل في أغلبها إلـى التحجّر في التفكير والتخطيط والسـلوكيات، ولا توجد في داخلها مسـاحات مرنـة للإبداع؛ ولهذا كانت رؤية سـمو الأمير محمد بن سـلمان

آل سـعود رؤية عصرية شـبابية، تتبنى الإبـداع والتميّز، وتعـدد أدوار البطولة في كل المجالات، والمُضيّ قدُمًا دون الالتفات إلى العقول القديمة، والألسـن المحبطة، وكل ذلك بأخلاق وقِيَم إسلامية، وثوابت أصيلة تعزز هوية وطنية مميزة، وخليط جميل في المستقبل.

صديقي العزيز صاحب متلازمة "داون"

أعشــق كثيرًا أصحاب متلازمة «داون».. فوجوههم تحمل البراءة، وعيونهم حنونة جدًا، وابتساماتهم صادقة، وأستحضر هنا لهم بعض المواقف الجميلة سامية المعاني، أولها موقــف أحدهم عندما كان يصلي القيــام في الحرم المكي في شــهر رمضان، وعندما شاهد المصلي الذي بجانبه يبكي خشوعًا قطع صلاته وأعطاه منديلاً؛ لمسح دموعه!! وموقف آخر عندما رقص أحدهم في حفل زواج أحد أقاربنا، وكان كالطفل الجميل في سعادته وابتسامته، يتناغم بجسمه مع أهازيج «العرضة العربية»، وكان أجمل ما رأيتُ في ذلك الزواج، وغطى على كل ما حوله جمالاً وفرحًا وبهجة.

وكذلك موقف ذلك الشــاب مع ســمو الأمير محمد بن نايف عندما قابلهم في قصره، فقــال له يا ســمو الأميــر، أنا أشــجّع فريق النصر بكل بســاطة وروعــة القلب الأبيض البسيط، فاحتضنه سمو الأمير بحنانٍ كبيرٍ، ولو كنتُ مكان الأمير لشجّعت النصر من أجله.

وبحكــم عملي كطبيب، أســتحضر موقف ذلك المريضِ في المستشــفى، حيث كان يتألم ويبكي بشدة من بطنه، وفجأة ابتسمتُ لوجهه ملاطفًا قبل فحصه، فتبسّم وكأنه

يجاملني، ولكن الحقيقة أنها ابتسامة حقيقية ممتنة للأيادي الحانية حوله.

وأخيرًا أعرف رجلاً فاضلاً وصديقًا لوالدي منذ عشرات السنين، وكان لديه طفل بمتلازمة «داون»، وأذكر أنه كان ملازمًا لوالده في كل مكانٍ لا يفارقه، ورأيتُه قبل أيام فوجدته ملازمًا له كظله، وقال لي والدي: إنه يبتسم إذا ابتسم والده، ويبكي إذا بكى، حتى إنه يمرض إذا مرض، فلا أحد يلومني في عشقي لهم بعد الآن.

كابوس الرحيل

خرج الطبيب من غرفتي وهو يقول: إن السـرطان منتشر في كل جسدك، وفي مرحلةٍ متأخرةٍ جدًا، وربما تعيش شـهورًا معدودة، كان الخبر كالصاعقة، هزَّ قلبي، وجلسـتُ أقلّـب عينـيَّ في غرفتـي، تملؤها الدمـوع، وآهاتٌ في صـدري تتصاعـد، والألم يعصر عظامي ولا أسـتطيع النوم منه، كان الوداع قاسيًا، وكأنني حملٌ ثقيلٌ على مَن حولي، وجلسـت وحيدًا في ظلمتي أشـاهد أيام طفولتي وأحلامي وعمري ومغامراتي، وحزني وأفراحـي كلها مثل الثواني مرَّت في مخيّلتي، وبدأتُ أتحرّك على سـريري، وسـقطتُ على سجادتي، وجلستُ أصلّي وأبكي، وكأنني لم أبكِ أبدًا في حياتي، ورفعت يديَّ لربي الذي لا ينساني، ورجوت مغفرته قبل مماتي، وأتاني في صباحي أطفالي، ثم سرعان ما ذهبوا بعد أن مَلُّوا من أسقامي.

وتذكّرني بعض الزملاء المخلصين جدًا فزاروني مجاملة ورحلوا جميعًا، وفي الليل تزداد الوحشـة وأصحو بيـن جنباته باكيًا مع صـوت المغذي وإبر التحاليل، كان الاسـتغفار والذكـر همـا كل ما لديَّ، كانت تجربة مـا قبل الموت.. تجربة ما قبـل الرحيل.. تجربة

الوحدة!! وكنتُ خائفًا جدًا، وزاد خوفي عندما علمتُ أنني فعلاً بقايا إنسـان، ومجموعة ذكريات بسيطة.

وفي الصباح أتاني الطبيب على غير العادة سـعيدًا، وقال لي سـبحان مَنْ أشـفاك كما شـفى أيوب من سقمه، فقد ذهب كل شـيء من جسدك فسجدتُ لربي شاكرًا باكيًا حامـدًا، وعُدتُ إلي بيتي وتغيَّـرتْ حينها مفاهيمـي للحياة، وتذكّرتُ أنـه لن ينفعني فـي ذلك الوقت العصيـب إلا صدقة جاريـة، أو عمل صالح، أو صحيفـة يملؤها الذكر والاستغفار، أو دموع أذرفها في قيام الليل، أو دعاء في الرخاء، وعندما يحين وقت اللقاء بربي فسوف أكون سعيدًا مبتسمًا مستبشرًا، وأقول في قلبي غدًا ألقى الأحبة، محمدًا وصحبه، فيكون وداعي جميلاً.

كان ذلك مجرد كابوس، لكنني تعلّمت منه كثيرًا.

ابتسامة العظماء

يرقـد في هذه اللحظات ملايين البشـر من مرضى السـرطان، منهم مَـن يتألم، ومنهم مَن يُصارع الموت، ومنهم مَن يتمسّـك بالأمل ويدعو اللّه بالشـفاء والراحة، وكما قال المفكر أحمد الشقيري إن النعَم ثلاثة أنواع:

1- نعمة حاصلة.

2- نعمة منتظرة.

3- نعمة هو فيها لا يدركها.

وسـر دوام النِّعَم شـكرها، وسِـرّ شـكرها هو استشـعارها، ورفع المعاناة عمَّـنْ فقدها، وأسـتحضرُ في هذا المقال قصة (حمزة إسـكندر) الـذي توفي قريبًا، وعُـرِف عنه محاربته للسـرطان بابتسـامته الجميلة المليئة بالتفاؤل، وبعد وفاته، واصلت أخته (هنا إسـكندر) المشـوار في محاربة السـرطان بالتفـاؤل، وظهرت لأول مرة على غـلاف مجلة محلية بدون شعر وبدون غطاء للرأس، حيث أُصيبت أيضًا بالسرطان، وانتشر في كل جسدها في مراحل متأخرة، وكانت تقول: إنها كانت تستمد قوتها من اللّه أولاً، ثم بابتسامة أخيها الذي مات.

وقالت: إن صورتها على الغلاف هي رسـالة تفاؤل بـأنّ الجمال هو جمال الروح والصحة والعافية، وليس جمال الشكل فقط.

لقـد غيَّب الموت (هنا إسـكندر)، ولحقت بأخيهـا (حمزة إسـكندر)، وبقيت قصتهما وابتسـامتهما تحمـلان الكثير مـن الإلهام وقـوة النفـس والثبات، تلك هي ابتسـامة العظماء.

أسـأل اللّه أن يجعل مرضهما كفّارة لهما، وأن يشـفي كل مرضى السـرطان، ويخفف أوجاعهـم، وأن يبارك لنا في صحتنا وعافيتنـا، ويُمتّعنا بها في طاعته إلى أن نلقاه بقلب سليم.

رحلة "فلاي ناس" رقم ٤٠٩

رحلة «فلاي ناس» رقم ٤٠٩، إقلاع الساعة ٦:٣٥ دقيقة مساءً، يوم ٩ رمضان، والمتجهة من الدمام إلى جدة.

شعور غريب وجميل، والطائرة مليئة بالمعتمرين، يكسوها البياض، وأمام كل راكب تمرة ولبن وماء، وقبيل الأذان أيادٍ ترتفع، تدعو بإخلاص، ترجو رحمة اللَّه، وتخشى عذابه، وتسأل اللَّه القبول، ثم يؤذَّن، ويبدأ الجميع بالإفطار بما فيهم طاقم الملاحة والطيار ومساعده، وتتوقف الطائرة في بداية المدرج لحظات قبيل الإقلاع ذهب الظمأ وابتلَّت العروق، وثبت الأجر إن شاء اللَّه.

كانت مجرد تُمَيراتٍ ولبن واكتفينا، وأقلعت الطائرة عاليًا بعد أن صلّى الجميع، واهتزت بكل شدة مع رياح البوارح الشديدة، والغريب أن السكينة والطمأنينة كانت تغمرُ كل النفوس، وكأنها فرحت واستبشرت، وما اهتمت بما سيكون، وبين المقاعد امرأة عجوز تسبّح بسبحةٍ طويلةٍ تكاد تلمس الأرض من طولها، وكأنها تصعد السماء مع كل تسبيحة وتعلو كروح طيبة.

كانت الطائرة تسابق شمس الغروب، فلم يغِب عنا خيوطها الذهبية في السماء طوال رحلتنا، نعبر فيها عبر القرى والمدن، واحدة تلو الأخرى، وكأننا نسمعها في داخلنا تؤذن وتكبِّـر وتفطـر وتصلّي عبر خطوط الطـول الجغرافية التي نقطعها في ذِكر وتسـبيح واستغفار لا ينتهي إلى أن يرث اللَّه هذه الأرض ومَن عليها.

رحلة «فلاي ناس ٤٠٩».. شكرًا تعلّمتُ منك كثيرًا.

التوائم الملتصقة

لـم أكن أعلـم أن للأحزان والأوجـاع في حياتنـا أذرعًا جميلـة خفية!! فقصـة التوائم الملتصقة غريبة جدًا، فقط لو تأمَّلناها من زاوية جديدة غريبة فلسـفية فسنستشـعر كل هـذا الجمال بجُرعات هائلـة، فالتوائم الملتصقة يعتبر كل منهمـا الآخر عكازًا له يستند عليه، ينامان سـويًا ويخافان على بعضهما البعض، ويضحكان سويًا، ويبكيان سويًا، ويصليان معًا صلاة جماعة في كل فرض، ويذهبان إلى المدرسة سويًا، ويذكّران بعضهما بالأذكار والدعاء والتسـبيح والاسـتغفار، ويصبح كل شـيء بينهما مقسومًا على اثنين، كسرة الخبز، وشربة الماء، وحبة التمر في الصيام، ثم إنهما يكرهان جراحة الانفصـال بعد كل هـذا الاتصال، ولا يحبان جرّاح التوائم، كمـا يحبه الإعلام ويروِّج له؛ لأنهمـا يعلمان أن واحدًا منهما قد يمـوت في تلك الجراحة.. عندهـا لن تكفيه عيون الناس قربًا وحبًا وحنانًا، كما كانت في عيني أخيه.

كنـتُ أقول دائمًـا إن للأحزان والأوجاع في حياتنا أذرعًا جميلـة ناعمة حنونة، لكننا لا نراها، فمن أكوام المحنة تنبتُ ورود نادرة، وتصبح أجمل منحة.

شرارة الانطلاق

تذكّرني قرية (ويسلر) الكندية بأول اجتماع سنوي للأطباء المتدربين من جامعة (بريتش كولومبيا) في مدينة (فانكوفر)، وقتها كانت القرية مليئة بالثلوج، وقدَّمت خلال الحفل السنوي الكثير من الكلمات الحماسية، وبعض الفقرات الجميلة من الحضور، ثم تمّ الإعلان عن أفضل طبيب متدرب في البرنامج لعام ٢٠٠٤- ٢٠٠٥، من خلال عطائه في التعليم والتدريس وجودة عمله مع مرضاه، وفوجئت بحصولي عليها، بعد التصويت من قِبَل لجنة البرنامج ورئيس القسم.

وللأمانة، كانت من أهم فقرات حياتي التي أعطتني ثقة كبيرة، بعد محاولات عديدة في إثبات ذاتي ونفسي، والكثير من الصعوبات التي واجهتُها في بداياتي مع بعض المشرفين، وألهمتني مزيدًا من الحماس نحو الأمام للحفاظ على التميّز والتفوق في بلاد الغربة، حينها أحببتُ قرية (ويسلر)؛ لأنها كانت شرارة انطلاقي بين كومات الثلج.

أفرحوا مَن تحبون بعبقرية

طائرة (ويســت جيت) الكندية تذكّرني دائمًا عندمــا أركبها بقصة جميلة حصلت لي مع أحد زملائي، حيث بشَّــرني بنجاحي في الامتحان النهائــي في الزمالة الكندية للطب الباطني، ولكن بطريقة مختلفة ومميّزة، حيث أعلن عنها كابتن الطائرة ونحن محلّقون في السماء، وصفق ركاب الطائرة، وكان شعوري لا يوصف لحظتها، ولم أكُن أعلم أنني كلما تذكّرت هذا الموقف عبر السنين ابتسمت وفرحت، كما لو أنني أتلقى نبأ نجاحي لأول مرة، فما أقوى ذاكرتها في قلبي.. أليس ذلك مثيرًا؟!.

عندهــا علمتُ أن القليل من الجنــون في حياتنا قد يكون أجمــل ذكرياتنا وأبقاها عبر الزمن، فلا تبخلوا في إدخال الفرح بطريقة عبقرية في قلوب مَن تحبُّون.

سينما القلوب

لو دخل الإنسان في أعماقه، وشـاهد عن قرب مشاعره وتفاعلاته وانفعالاته لاندهش كثيـرًا، كما لو أنه إنسـان آخـر ليس هو، وكأن قـوى خارجية تتجاذب وتشـوِّه وجهه الحقيقـي، وكل ما هو مطلوب منك أن تضع المرايـا أمامك، وتراقب مَن أنت، وكيف تتكلـم، وكيف تجرح من حولـك، وكيف تكون مملاً ومؤلمًـا؟! وكيف تكون مدعاة للفرح والجمال؟!

صدِّقني.. سـنتغيَّر كثيرًا، ونُغيِّر أشـياء كثيـرة فينا لا نحبها، أو تزعجنـا، أو دعونا من فكرة المرايا؛ لأنها قد تكذبها نرجسيتنا وغرورنا، ودعونا نشاهد تصوير فيديو لمواقفنا وحركاتنـا وسـكناتنا وانفعالاتنا، وصدّقوني قد يكون الفيلم حزينًا جـدًا أو به إثارة أو خيال، وقد يكون رومانسيًا أو مُملاً جدًا، أو كوميديًا ساخرًا.

والأجمل أنك قد تُعِيد الشـريط مرارًا مع كل اللحظات الجميلة؛ لتعيشـها من جديد، فراقب نفسك وأفكارك وانفعالاتك؛ لأنها هي أنت، ولتكن أفلامك حلوة جميلة مليئة بالبطولات، مفعمة بأروع الذكريات وأعظم المواقف الشجاعة.

إخوة التراب

إن تركيبة الجزيرة العربية غريبة جدًا في تنوُّع قبائلها وعاداتها وصفاتها ولهجاتها، والجدير بالذكر أن هناك قبائل احتفظت بالاسم الأم للقبيلة، وغيرها لم يحتفظ؛ بسبب الهجرة إلى مناطـق أخرى؛ نظرًا للتغيرات التي مرَّت بهـا الجزيرة العربية عبر القرون والعقود، من فقر وشُـحٍّ، وأمراض الطاعون، وحروب عديدة شرسـة، مات فيها الكثير، وهاجر منهم الكثير خوفًا على أرواحهم وأسرهم، ومع السنين تناسوا أصولهم الحقيقية للقبائل الأم.

وإثبات النَّسَـب يكون من كتب النَّسَـب أو من ثقاة وشـيوخ القبيلة، ونحن - المسـلمين - نحترم علم الأنسـاب، ونفتخر بأجدادنا وأصولنـا، ولكن يبقى أكرمنا عند اللَّه أتقانا، وما يحصل مـن النعرات القبلية وأهازيج الشـيلات مؤخرًا في وسـائل التواصـل الاجتماعي، والتفاخـر بالنَّسَـب، ومفارقة التعامل في العمـل والخدمة لصالح أفـراد القبيلة، وحرمان الفتيان والفتيات من عدم الزواج؛ لتباعد النَّسَب، وإجبارهم على الزواج بمَن لا يرغبون فيه، ويحبونـه فقط لحفـظ دم القبيلة، والتفاخـر المذموم في المجالس بالأشـعار والقصائد، واحتقار البعض على أساس نسبهم وقبيلتهم، دون النظر إلى علمهم وخلقهم ودينهم.

كل ذلـك هو أسـوأ أنواع التعصب وأخطره، ويعكس سـطحية المجتمـع الذي لن يصل مطلقًا بهذه العقلية إلى رؤية 2030، وهذه دعوة للتواضع واحترام الآخر،، فلربما كان أكثر منك انتماءً وأصلاً، وأذكركم بأن كل هذا التفاوت والاختلاف القبلي هو ابتلاء من اللَّه، ألم يقل اللَّه تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

أتسـاءل: هل سـتتنازل القبيلة عـن بعض قناعاتها القديمـة أمام هذا التغيُّـر الكبير في المملكـة؟! كنتُ وما زلتُ دائمًا فخورًا بقبائلنا العربية العريقة وتقاليدها، وتتوق نفسـي لأصالتها، وشـموخ رجالها، وكرم أخلاقهـم، ولكن يبدو أنه سـيصطدم بالتغيير، فإما أن يكون كاسرًا أو مكسورًا، فعلينا بالبُعد عن التعصب القبلي؛ لكي نلحق بركب المعالي.

أمانٍ تتحقق.. وأخرى تتمزق

في بداية كل عام جديد من حياتي، أجلس كالعادة في مكتبي أغلق فيه فصلاً، وأفتح فصلاً جديدًا. وفي تلك اللحظات الجميلة مع نفسي، أدركتُ أن الحياة في كل وقت تتغيّر، والأزمنة تمضي، والأيام والذكريات تتحرك بسرعة، ويصبح جزءٌ منا ماضيًا، وبعضنا يموت، وبعضنا الآخر يبقى، نحمل معنا قلوبنا النابضة، وكلما تباطأت أيقظناها؛ لتركض من جديد، أحلام وأمانٍ بعضها يتحقق، وبعضها يتمزق، وبعضها الآخر يُبحِر مقاومًا أمواج الحياة العاتية، قدر مضى وآخر نعيشه، وغدًا نجهله، وابتسامات تنتظر، ودموع هي الأخرى تنتظر وأنا معها في سباق أدفعها لتنتصر.

أصدقاء رحلوا، وأرواح فارقتنا، وأحداث نسيناها، ودولاب الحياة يدور دون توقف، وفي كل عام ينقضي، بعض الشعرات البيضاء تزداد، ونزداد معها معرفة ووعيًا وحكمة، نستبشر بالحاضر، ونأمل بالقادم، ولنا فيما مضى عبرة نتعلم منها.

ذكريات مدير سابق

فصـل مهم في حياتـي، وتجربة فريدة من نوعها كرئيسٍ لقسـم الباطنـة، ولمدة أربع سـنوات تعلمتُ الكثير، وحاولتُ أن أقتبس أفكارًا فريدة؛ لتطوير الدراسات العليا في القسـم، نتج عنها ولادة سـبع زمالات طبية تدريبية تخصصية، وتشعّبت فروع الباطنة كمًّـا ونوعًا؛ لينعكس على جـودة التدريب للأطبـاء المقيمين، ويغدو القسـم ضمن قائمة الفئة الذهبية في هيئة التخصصات الصحية.

فترة جميلة تعلمتُ فيها الكثير من زملائي، أَصَبتُ فيها وأخطأتُ مرارًا، وكان القسـم فعلاً بيتًا ثانيًا، عِشتُه وعاش فيّ، وأخذته معي في حياتي وفي كل مكان، لم أذكر يومًا أننـي أغلقتُ باب مكتبي؛ بل كان مفتوحًا للجميع مـن طلاب وأطباء امتياز، ومقيمين واستشاريين ومرضى.

فصلٌ كان مليئًا بالتحدي في مرحلة انتقالية للجامعة والمستشفى، من لجان الاعتراف الأكاديمي الدولي، حملت الكثير من الدروس لنا جميعًا وصقلتنا التحديات والصعوبات، ثـم تبعتها تحديات تغيير المناهج الطبية إلى مناهج محدّثة، وفترة انتقالية صعبة بين حقبتَين في المناهج، تمخضت «ولله الحمد» بالنجاح.

كنـتُ أعلم أن هناك من الأخطاء الكثيرة، وكنتُ أحـاول جهدي لتقويمها، بعض تلك الأشـياء تمثل أفـرادًا، وبعضها تمثل نظامًا وفكرًا، فكان ذلـك أصعب أنواع التغيير، وهـو مواجهـة الأفكار القديمـة وتصادم العقـول، وكنت أتمنى أن تكـون لديّ عصا سـحرية تغيّر وترضـي كل مَن حولي، وتذكّرت قول والدي: «رضا البشـر غاية لا تُدرَك يا ولدي».

ورغم كل شـيء، ومع العصر الجديد من الطاقات الشـابة، لدي تفاؤل كبير بأن التربة خصبة، والبذور جديدة، والنباتات طرية الغصن بدت تزهر وتعطي الثمار.

فضفضة طبيب مناوب

نحـن ـ الأطباءَ - نُدفنُ بالطـب أعوامًا طويلة تحت التراب، حتى نصبح يومًا ما أشـجارًا مثمرة فوق التراب، فمجرد دعاء مريض من كل قلبه يفعمك بالسعادة والراحة.

ولو كانت هموم الدنيا كلها فوق رأسـك، جميل أن يكون الإنسـان سـببًا سـخّره اللّه لراحة الآخرين، وتخفيف أحزانهم، وبلسمًا لجراحهم، وبركة من اللّه في شفائهم.

يـومٌ واحدٌ فـي المناوبات الطبية يكفـي بأن يُعلّمك أن الإنسـان دومًـا ضعيف، وأن الصحـة تاج، وأن الأهل عزوة وسـند، وأن العقوق مؤلم جـدًّا، وأن الحب تضحية وإيثار، وأن الإنسان مشاعر وأحاسيس، وأن الطب أمانة.

أليست جروحي هدايا القدر ؟!

عندما ينكسر وعاء في اليابان يتم إعادة تجميعه، وملء شروخه بالذهب، فهم يؤمنون بأنه كلما زاد انكسار الإنسان وجروحه زاد جماله وروعة تاريخه، فجروحك وانكساراتك هي أنت الآن، صنعت منك نسخة جديدة وجميلة ليست كالأمس، فكن دومًا فخورًا بجروحك، ولا تخجل منها أبدًا، فهي لن تقتلك، بل ستجعلُ منك شخصًا أقوى وأكثر حكمةً وأحدَّ ذهنًا.

واعلم أن كل شيء يحصل لك في هذه الحياة يحصل لسبب معيّن، وحِكمة إلهية، فارضَ دومًا بالقدر المكتوب، وواصل المسير، وكن سعيدًا، والسعادة الحقيقية هي أن تعيش كل يوم بأمل جديدٍ مفعمٍ بالتفاؤل متوكلاً على اللّه.

علَّمتني الحياة

علَّمتني الحياة أن القناعة كنزٌ لا يفنى، وأن الخيرة فيما اختاره اللَّه، وأن اللَّه أرحم بنا من أنفسنا، ويريد لنا دومًا كل خير.

تعلَّمتُ أن توفيقي مرتبط برضا اللَّه، ثم برضا الوالدين، وبغير ذلك أشقى وأضيع في الحياة.

تعلَّمتُ أننا نحن مَن نضيف إلى مناصبنا، وليست مناصبنا مَن تضيف لنا.

تعلمت أن العمل للآخرة ومع الآخرة يرتقي بنا إلى مرتبة الإخلاص، وعندما نعمل من أجل مصالحنا الشخصية تفقد الحياة طعمها، رغم أننا ملكنا معها الكثير.

تعلَّمتُ أن الناجح يُهاجَم، ويتضاعف أعداؤه، وتبقى علاقته باللَّه وصلاته هي سر انشراحه، وسعة صدره.

تعلَّمتُ أن هناك كثيرًا من الأفعال والكلمات المؤذية التي تجرحنا، وسرعان ما تذوب أمام الصمتِ والترفُّع، والإحسان والتغافل.

تعلَّمتُ أن الابتسامة الصادقة بطاقة عبور لكل القلوب.

تعلَّمتُ أن الوصول إلى القمة يحتاج فعلاً إلى عمل متواصل، وعزيمة كبيرة، وبعض السنين، وأن مَن يصعد على أكتاف الآخرين بسرعة سيسقط فورًا حالما يموتون جميعًا.

تعلَّمـتُ أن أجمل مـا في النِّعَم الإلهيـة هو أن يُسـخِّرَك اللَّه لخدمة مَـن حولك، وتفريج همومهم وإسعادهم، وتسهيل حياتهم.

تعلَّمـتُ أن كل إنسـانٍ حوله بعض الأوفيـاء والإيجابيين والمحبيـن، وأن الحفاظ عليهم والتمسُّك بهم أمر عظيم.

تعلَّمتُ أن العالم يتسـع لكثير من الناجحيـن، وأن قمة الثقة أن نصفق لهم، ونمضي في مشوار حياتنا قُدمًا بكل تفاؤل وأمل ومصالحة مع النفس.

تعلَّمتُ أن الحزن على الأشياء لا يُغيِّر شيئًا، وأن تجاوزه أمر ضروري؛ لتستمر الحياة.

تعلَّمتُ أن كل مَن يغتابني ويؤلمني هو فعليًا يهديني ولا يحرمني، وأكون له شاكرًا ممتنًا.

تعلَّمتُ أن حسن الظن والتماس العذر سمة الأفاضل الكرام.

تعلَّمتُ أن الخطأ وارد، وأننا لسنا معصومين عنه، والتصحيح الذي يليه سمة من سمات العقلاء.

تعلَّمتُ أنني عندما أحزن أتذكّر أحزان الآخرين، فتهون في نفسـي الهموم، فأشـكر اللَّه على كل النِّعَم.

تعلَّمتُ أن أبتسـم من القلب، ومن أعماق أعماقي، كما لو أنها الابتسامة الأخيرة، وأكتب كما لو أنها كتابتي الأخيرة، وأحضن أحبابي كما لو أنني سأودّعهم إلى الأبد.

تعلَّمتُ أن الذكرى الجميلة هي أجمل ما يبقى معنا، وكل شيء يذهب مع مهب الريح.

العيال كبرت

درســتُ في مدرسة الفارابي المتوسطة، والتي تبعد ٢٠٠ مترٍ عن مستشفى الملك فهد الجامعي بالخُبَر، وكان من الطريف وغرائب القدر أنني قضيتُ في هذا المستشفى كل سنوات دراساتي الجامعية كطالب في كلية الطب، ثم طبيب امتياز، ثم طبيب مقيم، ثم استشــاري، ثم أســتاذ في كلية الطب، ثم رئيسٍ لقسم الباطنة، والذي تشرَّفتُ فيه برئاسة مَن درَّسني وأكرمني بعلمه ونُصحه، ثم وكيل لكلية الطب.

ســكنتُ في حيٍّ قريبٍ من المستشــفى، وأصبح المستشــفى بيتــي الثاني، وكل مَن يعمــل فيه أســرة غاليــة على قلبي تكوَّنــت عبر الزمــان، ومَن يدري، ربمــا إذا مرضتُ مستقبلاً- عافاني اللَّه وإياكم - سأعالج في نفس المستشفى، وقد أموت فيه يومًا ما، وأُدفَن في مكانٍ يبعد عنه دقائق معدودة.

هكذا هــي دورة الحياة الحقيقية، كل قطعة من هذا المكان تحمل في قلبي ذكرياتي وأنا طالــب أحمل أوراقــي، وأؤدّي امتحاناتي، وألقي محاضراتــي، وأوجّه طلابي، وأعالج مرضاي، ولا يبقى إلا طيب الأثر، وعبق العطاء ودعاء الطيبين.

أما الأســاتذة فمنهم مَن رحل إلى الأبد، ومنهم مَن ســافر وانقطــع الخبر، ومنهم مَن ما

زال معنـا موجِّهًا وناصحًا - أطال اللَّه بأعمارهم -، اللهم أحسـن خواتيمنا وارزقنا نهاية سعيدة، وبُشرى طيبة.

ألم أقل لكم: «العيال كبرت»؟

سأشتاق لكم كثيرًا

كنتُ دائمًا على موعد مع الموت كلما وضعتُ رأسي على وسادتي، أو ركبتُ سيارتي، وكنتُ أقول في نفسي: قد تكون ابتسامتي مع أطفالي وزوجتي هي الأخيرة، وأنفاسي بعد نومي لا تعود مع خيوط الفجر، فأحتضنهم بقوة إلى قلبي، قبل أن أنام، كما لو أنني سأفارقهم إلى الأبد، وسأشتاق لهم كثيرًا، وأحلم بهم معي في الجنة- إن شاء اللَّه -.

كان حديثي مع ولدي في أحد المقاهي يشبه وصايا لقمان، كنتُ أُذكِّره بألا ينساني من الدعاء، وأن يكون ولدًا صالحًا يدعو لوالديه عند الرحيل.

-كنتُ أقول له عندما أموت زرني في الأسبوع مرة، فأنا أسمعك، ويفرحني وجودك، وأخاف أن أكون وحيدًا.

-كنتُ أقول له: عندما أموت اجعل حسابي في (أنستجرام) وقفَ خيرٍ لا ينقطع، واملأه بالدعاء والذكر، وتصدَّق عني يا ولدي، وابنِ لي مسجدًا، واذكرني في قيام الليل، وتذكَّر ظُلمتي في قبري.

-كنتُ أقول له: لا تنسَنِي، وادعُ اللَّه أن تلقاني وإخوتك في الجنة.

ـ كنتُ وما زلتُ أســأل اللَّه أن ألقاه وهو راضٍ عنّي، صائمًا قائمًا ذاكرًا، متسامحًا مع الناس بقلب سليم لا يعرف الحقد أو الضغينة.

علِّمُوا أولادكم أن يبروكم بعد مماتكم.

سيبقى الطب يا ولدي أحلى الأقدار

دراسة الطب طريق شاقٌّ وشيّقٌ لا ينتهي، وفي حالة تطور مستمر، وفي يوم التخرج بالذات تظن أنها النهاية، ولكنها نهاية البداية، ومن هنا تبدأ الحكاية، فرحة جميلة يوم التخرج، وتبقى ذكرى حلوة على شكل صورة في ألبوم صورك، وسيبقى المشوار نفسه أحلى ذكرى، رغم التعب والعثرات والصعوبات، ورغم جميع حرائقه سيبقى فعلاً أحلى الاقدار.

في رحلة الحياة نتخرج كل يوم، ونحتفل كل لحظة حتى نموت، فالعلم والعمل لا يعرفان النهايات، وتظل فرحة الأب وفرحة الأم في ذلك اليوم هي أجمل وأصدق وأنبل شيء يحدث في كل تخرُّج، بل في الحياة كلها.

والحياة مشوار يتبعه مشوار آخر، وأجمل ما فيه العطاء، وأسمى العطاء للدين والوطن فقط عندما ننكر ذواتنا.

عتبة تتلوها عتبة، كالأطفال نسقط ونتعثر، ونتعب أحيانًا، ولكن العيون الطموحة والهِمَم العالية تهوى المعالي، وتنظر دومًا في شموخ، لا تتنازل عن أحلامها.

كل المحاضرات والكراسات، والاختبارات ستذهب إلى الماضي، بعضها مُمِل،

وبعضها مؤلم، والآخر مُلهِم، فعيشــوا أيها الأطباء الخريجون لحظات الفرح، ولا تكونوا مكتئبين متشائمين، واســتمتعوا بأوقاتكم مع أهاليكم وأصدقائكم، بعدها ارجعوا إلى غُرفكم واجمعوا ذكرياتكم، وحافظوا عليها في مكان آمن.

خطّطوا أهدافكم، واجعلوها رســالة ســامية، واعملوا وتوكّلوا وتتفاءلوا، ولا يتسرَّب الإحباط لكم أبدًا، ونظِّموا أوقاتكم، ووازنوا بين أرواحكم وعقولكم وأجســادكم، ولا تكرهوا أحدًا، ولا تحســدوا أحدًا، وصفّوا نياتكم، وأحبــوا غيركم، وصفقوا للمبدعين، وســاعدوا المتعثريــن من أصدقائكم، وكونــوا في عونهم، وارتقوا فــي حديثكم، ولا تعطــوا بالاً للمغتابيــن، وليحمِكم اللَّه، ولتكــن دومًا، في يومك، أمٌّ تبرّهــا، وأب تُقبّل رأســه، وزوجة ترفق لها وتكرمها، ويتيم تكفله، وصدقة جارية، وحاجة مريض تسعى فيها وتخفف عنه.

الهروب إلى النجاح

السيد «كريس جاردينر» صاحب الكتاب الشهير «السعي نحو السعادة»، والذي يروي فيه قصة حياته، حيث بدأت بفقر شديد، لدرجة أنه لا يستطيع أن يدفع قيمة إيجار منزله، ولا يملك سيارة، وليس لديه قوت يومه، وبعدها تخلّت عنه زوجته وتركته مع ولده الوحيد.

ومن هنا بدأت رحلة عنائه وسعيه نحو السعادة، فكان يبيت في دورات المياه بمجمعات التسوق مع ولده، وكان يوهم ولده بأحلام وقصص خيالية جميلة حتى لا يستغرب مكان إقامتهما، وكان يجمع المال ويضعه من أجل أكله وولده، وما تبقى يدفع به رسوم الحضانة، وكان يعمل ليل نهار، ويتعلم قدر المستطاع، ويلقّن ابنه دروسًا عديدة، وهو صاحب المقولة الشهيرة: «لابد أن تدافع عن أحلامك، ولا تجعل أي إنسان أيًا كان في الوجود أن يقول لك إنها مستحيلة حتى لو كان والدك نفسه».

وفي فيلمه الجميل، والذي مثّل قصته الممثل «ويليم سميث»، تجد روعة التعبير عندما قالوا له: إنه تم قبوله ليعمل في إحدى أكبر شركات البورصة الأمريكية، وخرج يبكي فرحًا بعد المقابلة في شارع «وال ستريت»، مختلطة دموعه بابتسامته وأحلامه

وصدقه وطموحه، بعد سـنوات طويلة من الألم والخذلان، وأصبح بعد سنوات بسيطة أشهر مليونير في البورصة الأمريكية.

قصة جميلة تحمل روعة الإصرار والعزيمة، مهما كانت عقبات الحياة وقسوتها.

الزهايمر

رغم أنني لا أتابع المسلسلات الرمضانية، لكن شدَّني مقطع من مسلسل «التاسع من فبراير»، وفي شخصية الدكتور ناجي، وهو دكتور جامعي مبدع ومميّز في محاضراته، يُصيبه الزهايمر في سن الخمسين، ويبدأ في نسيان كل ذكرياته الجميلة مع ابنته الوحيدة في مقاطع جميلة سلَّطت الضوء على ضعف الإنسان وقله حيلته، وعلاقة الأب القوية بابنته الحبيبة التي اهتمت بوالدها وغمرته بلطفها وبرّها وكرمها، وسخَّرت وقتها كله من أجله، رغم يقينها بأنه لن يتذكر جمال أعمالها.

ويظل السؤال المهم: هل الزهايمر مرض جميل؟ كما قال الدكتور غازي القصيبي «رحمه اللَّه»: «الزهايمر مرض جميل، لا تفرّق معه بين شيء جيد وشيء سيئ، فهو لا يفرّق بين ما فعله الأصدقاء وما فعله الأعداء، ويمحو كل شيء من ذاكرتك، وتقابل أناسًا يبدون مختلفين كل يوم».

ولكن أتساءل: إذا لم نتذكر حينها فهل يتذكّرنا الآخرون، أم سنصارع المرض وحدنا؟

.

أعظم قصة حب

عندما ماتت السيدة خديجة «رضي اللَّه عنها» زوجة الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - حَزِن حزنًا شديدًا على فراقها، فأتته خولة «رضي اللَّه عنها»، وقالت له: ألا تتزوج يا رسول اللَّه، فصمَت وأطال في الصمت، ثم ذرفت عيناه دموعًا، فقالت خولة في نفسها: ليتني لم أسأله فقال بعد صمت: ومَن بعد خديجة؟! لقد رُزقتُ حبها، وعندما تمّ فتح مكة أتت عجوز إلى رسول اللَّه تتحدث معه، فسألت عائشة «رضي اللَّه عنها» أصحابه: مَن هي تلك العجوز؟ فقالوا صاحبة خديجة، يتكلمون عن أيام خديجة.

وكانت زوجاته «صلى اللَّه عليه وسلم» يغِرن منها وهي ميتة، من شدة تعلُّقه بها، وكان الرسول «صلى اللَّه عليه وسلم» إذا أتى ذِكرها تحدث عنها، ودعا واستغفر لها، ولا يتوقف حتى يقاطعه مَن حوله، وكانت خديجة «رضي اللَّه عنها» تحب رسول اللَّه حبًا عظيمًا، فهي مَن صدَّقته يوم كذَّبه أهل مكة، وهي مَن دثَّرته وزمَّلته في فزعه وخوفه من نزول الوحي، وهي مَن ساندته في فقره، وهي مَن أنجبت له الأبناء والبنات وربَّتهم، وهي مَن كانت له مستشارة في حياته، وحكيمة في توجيهه عندما أرشدته إلى ورقة بن نوفل.

أما رسول اللَّه فكان خُلُقه القرآن، فكيف لا تحبه، وكيف هو لا يحبها؟!..

كانت فعلاً أعظم قصة حب ووفاء وإخلاص في التاريخ.

لا تحزن فاللّه معك

في مقابل كل إنسان يجرحك أو يكرهك تذكَّر عشرات يذكرونك بالخير والدعاء الجميل، وفي مقابل كل خسارة تحصل لك هناك العديد من الأرباح والنِّعَم والتوفيق، ومقابل كل الأحزان والخيبات التي يزرعها البعض مِن خلفك وفي قلبك، هناك العديد من الأفراح التي زرعتها أنت في قلوب الآخرين، فعادت لك ثمارًا على شكل دعاء ليل طويل مليء بالصدق.

وفي مقابل كل الأيادي المؤذية التي تعرقل مسيرتك، هناك عشرات تميط الأذى عن دربك، وترفعك حبًّا وثناءً، ومن فوق كل هذا ربٌّ عظيم يقابل دعاء الكارهين لك، ويعود عليهم فيحرقهم، وأما دعاء المحبين فيبارك اللَّه فيه، فالكلم الطيب يصعد إلى عنان السماء.

عندما أتذكّر أي شيء يزعجني أو يجرحني أحاول أن أبدأ في معالجة ذاتية تبدأ بحمد اللَّه على أشياء كثيرة، فأحمد اللَّه على نعمة الدين فلم أكن كافرًا، وأحمد اللَّه على نعمة الصحة فلم أكن مريضًا أو مُقعدًا، وأحمد اللَّه على نعمة الحواس السليمة، وأحمد اللَّه على نعمة المال فلم أكن فقيرًا أو محتاجًا، وأحمد اللَّه على نعمة البنين

فلم أكن عقيمًا، وأحمد اللَّه على نعمة الأمان فلم أكن مهاجرًا مشردًا.

وعندما أتذكّر كل هذا تهون عليَّ كل الأحزان، والأعظم من كل هذا حسن ظنك باللَّه، وأنه أعلم بما يجول في نفســك ونواياك، ووعدك بأن يكون معك ما دمتَ تنوي الخير، إنها القدرة العحيبة التي تحجم فيها هذه الأشياء الجميلة كل ما يؤذينا؛ لنعيش بسلام.

غيم ومطر

مَن مِنَّا لم يختلف مع مَن حوله؟ فالاختلاف وارد، والصراع البشـري مستمر منذ أن خلق اللَّه البشـرية، كقصة قابيل وهابيل، وقصة إخوة يوسـف، وقصة نوح وقومه، وغيرها الكثيـر، وفي حياتنا العملية قد نختلف مـع مَن نعمل، وقد نصادف مَن يظلم ويجهل، وقد يؤذينا بعض البشر بكلامهم ونقدهم، وجرحهم ووقاحة تصرفاتهم، في مجتمع قد لا ينصفك دائمًا.

وهنـاك الخلافات العائلية التي يتنازع فيها الجميع، وتفقد فيها صلة الرحم، وينتصر في معظمها الشـر؛ لذلك علينا بالتحكم في أنفسـنا، ومحاربة الشر بالعفو عند المقدرة، أو بالصمـت والمضي قدُمًا، والتوكل علـى اللَّه، والفرار إليه، وقـراءة القرآن، والصبر على بلاء البشـر بالاحتسـاب، ولنتذكر قاعدة أن نتبع السيئة الحسنة، وأن نخالق الناسَ بخلقٍ حسـنٍ، وأن نكونَ كما وصفهم اللَّه عافين عن الناس، وكاظمين للغيظ، ومحسـنين فـي كل أحوالنا، ثم لنتذكر أن القوة ليسـت في المقاومة، بل فـي قدرتنا على تجاوزها وتخطيها، والتغلب على أحزاننا.

وأدعو اللَّه دائمًا بأن يحيطكم برعايته بأذكار الصباح والمساء، ثم بالقلوب الوفية التي

تساعدكم على العيش بتفاؤل وإيجابية، فكل شيء يتغيَّر ويتبدل، وهذه سُنَّة الكون، وابتسموا فالغيمة تحمل كثيرًا من المطر.

قف يا زمان

غدًا يأتي الشـتاء، وتتسـاقط الأمطار، وتتلألأ أنوار الشـوارع في ليالي المدينة الجميلة، وتختبئ الطيور في أعشاشـها بين الشجر، وترتعش بردًا، وتبعد الأسماك الصغيرة عن الشـاطئ نحو الأعماق، وتحلو القهوة السـاخنة، وتروق لي وحدة المساء، تنشط حينها الذاكرة، ويعود الزمن القديم، ويسـكن كل شـيء، ويبقى صوت المطر فوق الشـجر وعند السَّحَر.

غدًا يبرد المكان، وتتجمّد الساعة، ولا يبقى إلا قلب بذاكرة عتيقة دافئة وقهوة ساخنة جدًا، وماذا بعد؟! أصدقائي ومدرسـتي وطفولتي وألعابي، وقطعة الشوكولاتة، وبائع دكان الألعاب القديم في حارتنا، ومسجدنا الجميل وأذانه الحنون، وصوت صراخ الأولاد في الحارة، وكُرَتي الجميلة، وفريق حارتنا، ومبارياتنا الأسـبوعية، ومغامراتنا وضحكنا، وجلسـات الكورنيش الجميلة وابتسـاماتنا، كل هذه الذاكرة عادت إلى قلبي كنسيم البحر، سرعان ما استنشقتها بعمق وبشوق بحنين، ثم أتبعها بتنهيدة قوية.

كل شـيء كان حميمًا ورائعًا كروعة الشـتاء والمطر، ذاكرة غريبة تأخذني أيضًا إلى شـتاء كندي في فترة دراسـتي، حيث ثلوج تتسـاقط في كل مكان، وتخيَّلتُ نفسي

فيهـا، وأنا أذاكر فـي مقهى دافـئ والمدينة حولي يكسـوها بياض سـاحر كعروس جميلة، الشـتاء جميل جدًا، يبرد المكان، ويشتد المطر، ويسـكن الجميع في سُبات، وتنشـط الذكريات فتعود طفلاً صغيرًا جميلاً تلعـب في الطرقات، وبعدها تصحو من حلمك باكيًا، وتقول:

قـف يا زمـان! أعِد لي ذكريـات الطفولة، أعِد لـي حضن أمي، وعطف أبي ومدرسـتي ولعبتي التي أحبها.

مجموعة إنسان

لـو كان هناك جهاز تحكّـم للحياة، أو ما يُسـمَّى «ريموت كونترول»، كيف سـتكون حياتنـا يا تُرَى؟ ربما نسـتطيع حينها أن نُعِيد اللقطات الجميلة فـي حياتنا عدة مرات، فنضحـك من أعماق قلوبنا، وربما نسـتطيع أن نتجاوز تلـك اللقطات المخيفة المؤلمة بسـرعة، فلا نراهـا حتى لا نبكي، وربما نشـاهد الأشـياء العاطفية بالحركـة البطيئة، فيزداد تأمّلنا بجمالها وروعتها، وصدقها ونبلها، والأجمل لو استطعنا أن نصحّح من زلّاتنا ونحذفهـا، وأن نغيّر من أحداثنـا فلا نؤذي فيها أحدًا، وننتبه عندمـا تصادفنا المواقف، فنعرف كيف نتصرَّف بطريقة أكثر لباقة وحرصًا.

ولكن.. هل تعلمون أن الأجمل على الإطلاق هو عندما نشـاهد الأشـياء على طبيعتها، ونتقبَّل فيها أخطاءنا، ونضحك على تصرّفاتنا التلقائية البسـيطة وسـخافاتنا، أتدرون لماذا؟ لأننا بشـر نصيبُ ونخطئ ونسـهو، ونحب ونضحّي، ومَن يحبك سيحبك بكل ما فيك من حسنات وعيوب حتى نهاية العمر، لأنك ببساطة مجموعة إنسان.

هدايا اللؤلؤ

قـرأتُ يومًا كيف يتكوَّن اللؤلؤ؟ محارة صلبة في أعمـاق البحر مرميَّة بين ترابه الناعم، وإذا بهـا تتقلب مـع أمواجه، ومع هطول المطر العذب تتلاقـى وقطرات البحر، فتدخل بين أطرافها وأحشائها أجسام غريبة، فتبدأ المحارة بمحاربتها وتغلفها، ومع الوقت تولد من حربها بقايا تصبح حينها لؤلؤًا ساحرًا.

والغريـب بعد كل هذا، وبعد أن كانـت المحارة تهاجمه، أصبحـت تحميه بقوقعتها، وتختبـئ بين الصخـور لتحميه، واسـتكمالاً لقصة اللؤلـؤ العجيب، أتخيَّـل معها ذلك الغواص الفقير العجيب، يقف على شـواطئ البحر المظلـم وأمواجه المخيفة، ويرحل على قوارب خشـبية ويرمى نفسـه في أعماقه يبحـث عن ذلك اللؤلـؤ النفيس، وبقدر الخوف الذي سـيعتريه إلا أنه يجازف بعمـره لأجل الذين يعولهم، وكلما أحسّ بالخوف والتـردد تمـرُّ بخاطره كسـرة الخبز اليابسـة في يد أطفالـه، وبيته الطينـي المتهالك، وابتسامة طفله الحزينة، وزوجته التي تزين عنقها بلفائف الشجر.

كلما تذكَّر تلك الأشـياء زاد عمقًا وزاد نفسًا، وزاد طموحًا، فمن أجلهم سيعود ويفرح برؤيتهـم، ويرقص علـى أهازيج الخليـج رقصة الرجـوع، ويبيع اللؤلؤ، ويطعـم أطفاله،

ويجلب الهدايا؛ ليســعدهم، هؤلاء الرجال وضعوا أرواحهم فداءً ليس من أجل أنفسهم، بل ليقدموها حبًا وإكرامًا وامتنانًا لمَن يحبون ويعيلون.

الأخطبوط الساحر لا يحتاج أطباء

حيوان عجيب يرجع تاريخه إلى أكثر من 250 مليون سنة، فهو الأقدم والأبقى، ويعيش من 4-5 سنوات، ويملك 9 أذرع، وفي كل واحد منها 250 مجسًّا مليئًا بالأعصاب الطرفية، وهي قادرة على النمو الذاتي لو قُطِعت، وقادرة على العمل منفردة كعقل مستقل، وبالتالي يقوم بعدة مهام في وقت واحد.

والأخطبوط يملك ذكاءً عجيبًا، حيث لديه قدرة التكيّف مع المخاطر، فيستطيع أن يفرز مادة حبرية للتخفي، ويغيّر من لونه أيضًا للتخفي، ويتغيّر حجمه لدرجة أنه يستطيع أن يمرّ من ثقب الباب؛ لأن جسمه لا يحتوي على العظام، وأيضًا الأخطبوط لديه ثلاثة قلوب لدعم الأذرع والجسد، وهي مليئة بالعاطفة الغريبة، حيث يكون التلقيح عن بُعد، ثم تضم الأنثى الذكر بعد التلقيح بأذرعها القوية جدًّا فتخنقه ويموت، وتعيش هي بعد أن تضع أكثر من نصف مليون بيضة، وتضرب عن الطعام إلى أن يفقس البيض، ثم تموت مباشرة بعد الفقس، وعلى صغارها أن يجدوا طريقهم في الحياة في النهاية.

ورغم أن الأخطبوط لا يحتوي على العظام، فالعضلات تشكّل ٩٠٪ من جسمه، وهو من أسرع الحيوانات اللا فقارية سباحة، وأيضًا من العجيب أن دمه أزرق، وليس أحمر؛ لأنه

مليء بالنحاس وليس الحديد، وهذا أفضل بمئات المرات؛ لنقل الأكسـجين خاصة في أعماق المحيطات، ويكاد يكون أشـهر أخطبوط هو الأخطبـوط (بول) الذي كان يتنبأ بالفوز بالمباريات في كأس العالم ٢٠١٠، وقد نجح في تنبؤ ٦ مباريات صحيحة دون خطأ، بما فيها المباراة النهائية بين إسـبانيا وهولندا دون تفسير واضح لذلك التصادق، ولكن مات الأخطبوط (بول) وبقيت ذكرياته الغريبة في التنبؤ.

علـى أية حال، هذا الكائـن البحري لا يحتاج إلى طبيب عظام؛ لأنـه بلا عظام، ولا يحتاج لطبيب قلب، فله ثلاثة قلوب؛ ولا يحتاج لطبيب دم، فدمه قوي جدًّا، مفعم بالأكسجين، ولا يحتـاج إلى طبيب أعصاب، فهو كله أعصاب، إنه كائـن عجيب لا يحتاج إلى أطباء، ورغم ذلك يموت؛ لأنها سُنَّة الحياة، فسبحان الحي الذي لا يموت!.

يوم ميلاد سعيد

أيــام قليلة تفصلنــي عن يوم ميلادي الأربعين، وتعصر وردتــي لتقطر آخر ذكرياتي في عقود أربعة، وتدفعني نحو حِكمتي وضعفي وهشاشــتي وقوتــي، وخليط من الخبرة، أيام تفصلني عن عمر لا أصدقه أحيانًا، وأصدقه في أحيان أخرى مثل الحلم، لقد اختصر ربــي «عز وجل» ســن الأربعين في آيات جميلة، فقــال تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُــدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَــنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). (الأحقاف - ١٥).

ما زلتُ أعتبر الأعمار مجرد أرقام تتزايد، ويبقى القلب طفلاً يلعب ويغني ويرقص، يرويه رضا اللَّه، ودعاء الوالدين، وبركة الأبناء، ومحبة الناس.

وأنا أعانق الأربعين.. أريد أن أقول:

- شكرًا والِدَيّ، فدعاؤكما لي أربعة عقود لم ينقطع.

- شــكرًا أســرتي الجميلة؛ وزوجتي الغالية، لأنكم نواة نجاحي، وأيادٍ تدفعني وترفعني وقت ضعفي.

- شكرًا أحبابي من مرضاي وطلابي وزملائي، فأنتم وقود حياتي، وشعلة نشاطي.

ـ شــكرًا لكم، فأنتم جميعًا ماء الندى يســقي أوراقي وأطرافي قبل أن تموت، فترتوي وتســتقيم فتملأ المكان عطرًا، ومــا كان ذاك عطري ولا جمــال أوراقي، بل كان عطر دعائكم، وروحكم الجميلة ترتب في داخلي غرفة الأربعين؛ لأكون فيها أجمل وأروع.

أحمــدُ اللَّه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء الســماوات وملء الأرض، وملء كل شــيء، وأســأل اللَّه لنا ولكم لقاء الجنة، تحيتنا فيها ســلام، وقلوبنا صافية سليمة مُحبّة خالدة في الجمال، وعمر لا يعرف إلا الربيع، ولا يعرف إلا بياض القلب وسواد الشعر..

هؤلاء هم ورود فبراير، تُزهِر دومًا قبل الربيع، وتعيش كل الفصول.

نبذة مختصرة عن الكاتب

- وُلِد في مدينة (جدة) عام ١٩٧٧م.

- نشأ وترعرع في مدينة (الخُبَر)، ودرس في مدارسها.

- حصل خلال دراسته العلمية على جائزة الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز آل سعود للتفوق العلمي عدة مرات.

- تخرَّج في كلية الطب، جامعة الملك فيصل، بمرتبة الشرف الأولى على مستوى الجامعة، وقُبِلَ بعدها في الجامعة كعضو هيئة تدريس، وتم ابتعاثه إلى جامعة (بريتش كولومبيا بمدينة فانكوفر بكندا).

- حصل فيها على الزمالة الأمريكية والكندية في الطب الباطني، وخلال تدريبه حصل على جائزة (ماكنزي) كأفضل طبيب مقيم في برامج التدريب لعامَي ٢٠٠٥، ٢٠٠٦.

- انتقل إلى جامعة (البرتا) في أدمنتون الكندية، وتخصص في الغدد الصماء والسكري، وحصل على الزمالة الأمريكية والكندية فيها، ثم عاد إلى الوطن عام ٢٠٠٨.

- التحق بالجامعة كعضو هيئة تدريس، وبروفيسور مشارك في قسم الباطنة، وكان يقوم بالأعمال الإكلينيكية والأكاديمية من تدريس طلاب كلية الطب، وتم تعيينه

رئيسًا للقسم في المستشفى الجامعي عام ٢٠١٤.

- تمّ تعيينه مؤخرًا وكيلاً لكلية الطب للشؤون الإكلينيكية في جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل.

- قام بنشر أكثر من ثلاثين بحثًا علميًا في مجال السكر والغدد الصماء، وله نشاطات اجتماعية وتوعوية عديدة، وهو عضو فاعل في اللجان العلمية الطبية الوطنية.

يبحث الكثيرون في هذا الكون عن جنه جميله مليئه بالحب
والسعاده والفرح والجمال ويقضون حياتهم جلها بحثا عنها
لكنهم لم يدركوا انها هناك مختبئه في داخلنا شكلتها ايامنا
وذكرياتنا ومغامراتنا وقصصنا وتفاصيلنا ، تنتظر من يزرعها
وردا ويسقيها ماء ويرتبها صفا ويرمي التالف منها كل خريف
ويملؤها بالفراشات الملونه ويعلق على اغصان اشجارها
طيور الحب والامل والتفاؤل والايجابيه لتغرد في شجون وقت
الربيع ، وعندما يسود الصمت فيها ليلا يهمس كل مافيها ذكرا
وتسبيحا واستغفارا ودعاءا فترتقي نفوسنا الي السماء عند الله
امنه مطمئنه لتنعم بلطفه وكرمه وبركته فنصحوا فجرا
مستبشرين ، أكثر فرحا واقل حزنا واقوى صبرا واجمل عمرا
!! تلك هي جنه القلب فحافظوا عليها